السخرية في شعر محمد مهدي الجواهري

رحيم انصاري پور (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، فرع إيلام، جامعة آزاد الإسلامية، إيلام، إيران
raheemansaripour@yahoo.com
عبدالكريم ألبوغبيش
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها فرع آبادان، خرمشهر جامعة آزاد الإسلامية، خوزستان، إيران
فاطمة عدنان محمد
طالبة ماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها، فرع إيلام، جامعة آزاد الإسلامية، ايلام، ايران

Irony in the poetry of Muhammad Mahdi Al-Jawahry

Rahim Ansari Pour (Responsible Writer)
Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature , Ilam Branch of the Islamic Azad University Ilam , Iran
Abdul Karim Albogbish
Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature Abaden Branch , Khorramshahr Azad Nominal University , Khuzestan , Iran
Fatima Adnan Mohammed
Master's student in the Department of Arabic Language and Literature , Ilam Branch , Islamic Azad University , Ilam , Iran

الملخص:-

تحاول هذه المقالة دراسة الفكاهة والسخرية عند الشاعر النجفي محمد مهدي الجواهري، و ما أتينا به من قصائد ساخرة لهذا الشاعر الفذّ ماهي إلا القليل، و توجد الكثير من هذه القصائد في ديوانه ولا نستطيع من خلال هذه المقالة المختصرة الإتيان بكل تلك القصائد، وعلد المتذوقين للأدب مراجعة ديوان الشاعر فسيجدون الكثير من الفكاهة و السخرية وما شابه ذلك. وقد إعتمد الباحث في هذه الدراسة على ديوان الشاعر فقط، ان الجواهري بسخريته لا يريد الاضحاك بل التوعية لما يحدث في بلاده. كان الجواهري الصورة الحية لما يحدث في بلاده فلم يستطع السكوت و الكتم على انفاسه بل نطق نطقة الجواهرية أراد بها أن ينهض الشعب على الوضع المزدري السائد في العراق

الكلمات المفتاحية: ١٠الجواهري، العراق، السخرية، التوعية، الفكاهة.

Abstract:-

This article attempts to study the humor and irony of the Najafi poet Muhammad Mahdi Al-Jawahiri, and we came to it from the sarcastic poems of the remarkable poet only a few. There are many satirical poems in his office, it is not possible to narrate in this brief article with all of these poems, and readers of literature should review the poet's book, he will find a lot of humor and irony poems.

In this study, the researcher relied on the poet's book only. Al-Jawahiri, with his sarcasm, does not want to laugh, but rather to raise awareness of what is happening in his country.

Al-Jawahiri was the clear picture of what is happening in his country. He could not remain silent, but utter a word that he wanted the people to rise on the bad situation prevailing in Iraq.

Key words: Al-Jawahiri, Iraq, irony, awareness, humor .

المقدمة:ـ

(يدور موضوع هذه المقالة حول السّخرية في شعر الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري) تحدثت في البداية عن السخرية والاسباب التي تجعل الشاعر أو الاديب أن يتخذ هذا الاسلوب أي الاسلوب الساخر، فلكل شاعر او كاتب طريقته لبيان الاوضاع غير المرضية، لربما تجنّباً من الاذى أو من حيث تلّقي المستمع، فهي قد تكون اكثر وقعاً في قلوب الناس، و بعد ذلك دخلت في صلب الموضوع و هو القصائد الساخرة لدي شاعرنا الكبير الجواهري، للجواهري قصائد كثيرة سخر بها من العديد من كبار الفئة الحاكمة إلى جمهور الناس العاديين و هو بسخريته لا يريد الاضحاك بل التوعية لما يحدث في بلاده، و قد اوردنا بعض قصائده الساخرة كـ(طرطرا، تنويمة الجياع، ماتشاؤون، أطبق دجي وكم ببغداد ألاعيب).

السخرية و بواعثها:

في كل فترة و زمان، نجد جماعة من الناس يشتهرون بالظرافة و الفكاهة و الاريحيّة، ويحاولون أن يجعلوا من هذه الفنون تسلية للآخرين دون أن يبحث أحد في غايات أو بواعث هذا العمل.

لهذا يجب على كل من يريد أن يتعمّق في هذا المجال أو يكتب بحثاً علمياً عن البواعث للّجوء إلى هذا الأسلوب من البيان، أن يجد جواباً لبعض الاسئلة، مثل: هل الغاية فردية أم جماعية؟ أو هل الغاية في كتابة هذه النصوص سياسية أم اجتماعيّة أو لها اسباب أخرى؟ فعلينا أن نبدأ خطوة خطوة من البداية، فنقول: السخرية لون من الهجاء و لكن بفارق، و هو أن للهجاء لساناً حاداً و مرّاً و نحن لا نجد الصراحة الموجودة في السخرية كما نجدها في الهجاء، و من جهة أخرى، الغاية في السخرية هي الاستهزاء من شخص في حالة جَعْلِ الشخص اضحوكة للآخرين مع الاستحقار.

و من ناحية أخرى، السخرية ليست لفظة تعادل لفظة الفكاهة و إن كان القاسم مشترك بين هاتين اللفظتين وهو الإضحاك، ولكن يوجد فرق هام بينهما وهو الغاية في الفكاهة هي الإضحاك لأجل الضحك فقط، ولكن الاديب الساخر يهدف في وصفه الناس و الاحداث

إلى استدرار الضحك و قد يكون له من وراء ذلك فلسفة، هي محصلةُ مزاجه الخاص أو تجربته في الحياة، كأن يرى تقاليد المجتمع ما لا فائدة تحته، أو يرى في المثلِ الخُلقية رياءً واصطناعاً ينبغي تدميره، من خلال السخرية. إذن السخرية وسيلة لأجل الوصول للغاية وليست هي بغاية.

ويهدف الأديب الساخر من خلال كلامه شخصاً خاصاً أو جماعة أو شعباً أو قوماً، وأحياناً يسخر الكاتب من بطله في كتاباته و يقصد من وراء ذلك اشخاصاً دون الذين يوجدون في كتاباته و من المحتمل أن يسخر من نفسه لأجل الوصول للغاية.

يجب ان يكون الانسان شريفاً حتى يضحك من نفسه لأن الانسان دائماً اما يضحك من صديقه أو من جاره او من الشخص الذي تثقل عليه رؤيته أو يضيق به قلبه(أودونيس، ١٩٨٣م،ص٤٠).

النقاد الغربيون يقسمون السخرية إلى قسمين:

وهي أيضاً تنقسم إلى قسمين:(Formal) ١- السخرية المباشرة أو الرسمية التي تعادل لفظة

أ: الطريقة الأولى هي طريقة الأديب الساخر الروماني هوراسيوس (٦٥-٨) ق.م (التي تعرف بالسخرية) و هي أقل حدّة و مرارة و أكثر تهذيباً و أدباً من الطريقة الثانية.X-Horation satireالهوراسية في هذه الطريقة يبالغ الأديب في تصوير الرذائل من أجل إيقاظ الضمير البشري النائم.

على الأديب الساخر أن يتسّم بصفاتٍ منها: الذكاء والخلّاقية و القدرة على أن يسخر من نفسه -ب عض الأحيان- لو تطلّبت الظروف.

(المنسوبة للاديب جوفينالين(٦٠-١٤٠م) JuveallianStireب- الطريقة الثانية هي السخرية الجوفينالية)

وهي أسلوب لاذع، مرّ و حاد، يحاول الأديب الساخر إظهار الحقائق بأسلوب ساخر، ليمنع الانسان من فعل الرذائل(انوشه،١٣٨١ش،ج٢،ص٩٣٤).

إذاً ففي السخرية المباشرة يتكلم القائل أو الشاعر مع قارئه مباشرة من غير لفّ و دوران، و من المحتمل - كما أوردنا- أن يتخذنا القائل لساناً ليّناً لكي لا يجرح مشاعر الآخرين أو ينتقد و يسخر من نفسه، أو يتكلم دون رحمة و شفقة و أيّة ملاحظة و يسخر من الآخرين و يسبب لهم الألم و يحقّرهم.

(و تعرف بالسخرية المنيبية Informal٢- السخرية غير المباشرة أو غير الرسمية التي تعادل لفظة) المنسوبة إلى الفيلسوف اليوناني ((مينوبروس))، وفي هذه الطريقة، يسخر الكاتب أو الشاعر من أبطال كتاباته (MeniPean Stire) أو من نفسه أو عقائده، و قد نري الكاتب من خلال تحليله و على طريقة النقل، يسخر من أطرافه و ما يجري حوله(المهندس كامل، ١٩٨٤م،ص١٩٨).

(Black humor) إضافة إلى هاتين الطريقتين توجد طريقة ثالثة تُعرف بـ ((الاضحوكة وهي تبيّن جانباً مأساوياً مضحكاً من الحياة. استخدم العبثيون هذا الاسلوب كثيراً في أعمالهم، مثل: صموئيل بيكيت(١٩٠٦-١٩٨٩) (إدوارد البي١٩٢٨م) (غونتراغراس١٩٢٧م).

ولو اردنا أن نذكر أهم البواعث للجوء إلى هذه الطريقة من البيان لكانت على الترتيب التالي:

١- قد يكون الاسلوب الساخر إنتقاماً لما يتلقّاه الشاعر من الإهانات و المذّلات فالسخرية تترجم حاجة روحية: المجتمع يستحق الشاعر بلامبالاته و إنكاره، فيسحقه الشاعر بأن يسخر منه و يحتقره(أودونيس ١٩٨٣،ص٤٠)

٢- يجعل بعض الشعراء السخرية من الآخرين و الاشياء و الظروف، سلاحاً حادّاً لحصوله على حقوقه المستلبة- على الاقل على حدّ ظن الشاعر- كما هو عند الكثير من الشعراء، مثل: بشّار بن برد و الحُطيئة و....

٣- يرى البعض من الادباء السخرية طريقة سياسية لتنبيه الظالمين والاشرار والمنحرفين دون أن يخاطروا بأنفسهم مباشرة

٤- وقد يتخذ الشاعر السخرية أسلوباً لتعويض ما يفقده من الجمال الظاهري أو الفقر

المادي أو المكانة الاجتماعية و....

لهذه الاسباب تكون السخرية أكثر إفصاحاً من الاساليب الأخرى و نجد الكلام الساخر ينافس الكتاب و الإعلان و الخطاب و يتفوق عليهم جميعاً في تبيان سيئات المجتمع في المجال السياسي أو الاجتماعي أو الإقتصادي.

و إن السخرية ليست للمتعة فقط، صحيح أن الشعر و الادب الساخر يسبب لك الضحك و يجعلك تقهقه، و لكن هذه القهقهة تمتزج بالتفكير و الامعان، إذاً تستطيع القول بأن السخرية هي أمثولات و عِبر ومواقف و آراء جديرة بالنظر و التأمل.

٢ـ السخرية في شعر الجواهري:

((يتمتع الجواهري بشهرة جاهرة، أمتدت إلى أرجاء الوطن العربي، و هو شاعر مُكثر مجيد في أكثر شعره، و شهرته باتت حديث السامرين في منتدياتهم)) (الجبوري، بلا تاريخ،ص٧)... و هو في الحقيقة حلقة وصل تربط بين الشعر العربي الكلاسيكي و الشعر الكلاسيكي المعاصر، فهو في الواقع ((ينتمي في نهجه الشعري إلى مدرسة عريقة في الشعر العربي عرضُها العصور العربية منذ امريء القيس حتى الجواهري، و هي الكلاسيكية القائمة على التقليد في الطرح الشعري و الفنون الشعرية و أساليب الكتابة. كما تقوم على متانة التركيب اللغوي الذي يصل في بعض مناحيه إلى الإغراب و التقعر و اعتماد الفصاحة و البلاغة في أكمل الوجوه و الطرق، في إطار من الغنائية و الخواطر الحكمية التعليمية.(الايوبي،١٩٩٩م،ص٨٨).

((والجواهري في شعره رجل الثورة الذي التزم قضية الشعب و الوطن، و انتصب مناضلاً في سبيلها، يهاجم المسؤولين في صراحة جريئة وعنيفة)) (الفاخوري،١٩٩٥م، ص٥٠٨). ثم يمزجه بألوان السخرية حتى تصبح قصيدة رنّانة تجري على ألسن الجميع و تتسع إليها و كأنها قصيدة للمتنبي قالها في هذه الايام، فيقول الجواهري:

كم ببغداد ألاعيبُ وأساطيرُ أعاجيب	وأساطين إذا امتحنوا فمهازيل مناخيبُ
و((تهاويل)) يُدان لها طوْع ما تومي حواجيب	سُرر من فوقها بَقَر في خناها يعبق الطيب
قد سُحت من غباغبِه وغَذاها الإثمُ والحوب	كذب التاريخ لا عرب إنهم – لابدّ– تعاريب

أو فـأعراف و أنعِمـة و مـروءات أكاذيـب خَزِيَت بغداد من بلدٍ كلُّ شيءٍ فيـه مقلـوب
فلق الإصباح غريب و نعيق البـوم تشـبيب وبيوت الفسق عامرةٌ و عرين الليث منهوب
عاثَ رجس في محارمها وتولّي رَعْيها ذيـب ضلَّ واستخذّي لـه نَقَد بالحُطام الـدون مسحوب

❖ ❖ ❖

كم ببغدادَ ألاعيـب وأضـاحيك أخـاشيبُ وعضـاريـط.. مَرازبة ويـرابيـع.. يعـاسيـب
كـل مَنحوسٍ ومشفَرِهُ بيـد الأطمـاع مثقـوب ودُمي للأجنـبي بها خَبَـت حُلـو و تقـريب
شُدَّ خيط في مخاصرها فهـو للترفيه مجـذوب و((دساتير)) مُمَخرقَة عشَّشَتْ فيها العنـاكيب
وسيـاسـات ملفَّفـة وزعامـات أسـاليب دون أجنادٍ.. كما خَليت من زنـاديقٍ محاريـب

(الديوان،ج٧،ص٢٣٧)

المعروف عن الجواهري ((أنه متنبي عصره)) و عند ما نقرأ هذه القصيدة قد يتحقّق لنا الأمر، فهي تذكّرنا بقصيدتي المتنبي الشهيرتين اللّتين يقول فيهما:

ومـاذا بمِصْـر مـن المضـحكاتِ ولكنـهُ ضـحك كالبكـا

والثانية داليته الشهيرة التي قد أخذ الجواهري الشكل والمفردات منها:

عيـد بـأية حـالٍ عُـدت يـا عيـدُ بمـا مضـى أم بـأمرٍ فيـك تجديـد

(المعري،١٤٠٧هـ، ج٤،ص١٦٨)

فالجواهري في هذه القصيدة يصوّر لنا لوعته و حقده على مدينه بغداد و من يقطن فيها. فالشاعر يكثر من إعطاء الصور الكاريكاتورية للقارئ، وان كانت هذه الصور لا تخفل بالخيال واغلبها صور حسية. من هذه الصورة، أن تنشقّ غباغب مملوءة بالحرام والإثم أو جعل التاريخ رجلاً كذّاباً مخادعاً و...

فبغداد مدينةٌ، كلّ شيءٍ فيها مقلوبٌ: الصباحُ عندها مظلمٌ و صوتُ البوم نغمةُ الحب و بيوت الدعارة فيها كثيرة وعامرة، و بيت الشرف منهدمة و... ورجالها مثل الدمي لعبة في أيدي الأجانب تأخذ بهم حيث تشاء. و اما ((الوزارات)) فتطالب بجميع الأشياء، والدستور ممخرق ومتروك لا يعمل به في زاوية حتى عششت عليه وفيه العناكب والسياسة

و الساسة كلهم مزيفون و....

وعلى طريقة المتنبي ولكن باسلوب عصري يسخر الجواهري برسم صورٍ كاريكاتوريةٍ مكثّفة حتى يستنفد جميع ما في نفسه من احتقار وحقد لهؤلاء الذين قد جعلوا بغداد على هذه الصورة البشعة.

ومن القصائد التي تلوّنت بلون ساخر، قصيدة تعرف بـ((طرطرا))، وهي تَجِدُ وتحسّ السخرية في شكلها ومضمونها، و في كل مفردة من مفرادتها المستخدمة في القصيدة و ((هي على النمط الساخر والوزن من القصيدة الدبدبية المشهورة التي قيلت في العهد العباسي ومطلعها:

أي دَبْـــدَبي تـدبـــدبي أنـــا علـــى (المغـــربي)

(الجواهري،ص٢٢١)

وقد تناول الجواهري في مقدمتها الاتجاهات الطائفية المختلفة التي يحاول الحكام بثّها بين صفوف الشعب إضافة إلى روح القبلية العشائرية والنعرات القومية واستغلال كل ما يفرق أبناء الشعب حتى في أزيائهم)).(زاهدي،١٩٩٩م،ص٣٧٥) و يقول الجواهري فيها:

أي طرطـرا تطرطـري تقـدَّمي، تـأخَّري تشيعـــي، تسنَّـــني تهـــوَّدي، تنصَّـــري

تكـــرَّدي، تعـــرَّبي تهاتـــري بـالعُنصـــرِ تعمَّـــي، تـبرنطـــي تعقَّلـــي، تســـدَّري

(شعبان،٢٠٠٩م،ص٢٦٢)

وأنـــتِ إنْ لم تَجِـدي أبـاً حميـدَ الأثـر ومَفخَـراً مِـنْ الجُـدودِ طيـبَ المنحـدر

ولم تَـرَيْ الـنَّفس مـا يغيـك أن تفتخـري شأن عصامٍ قد كَفَتهُ النفسُ شرَّ مفخرِ

طُويْ على الأعـراب مـن بـادٍ ومـن محتضـر والتمسـي منهـم جـدوداً جُـدُداً وزَوِّري

تَـــزيدي تزبَّـــدي تعنَّـــزي تشـــمرَّي يْ زمـــن الـــذَّر إلى بـــداوةْ تَقَهْقـــري

(المصدر السابق،ص٢٦٣)

الجواهري في هذه القصيدة يسخر من كلّ شيء: من الديانات، و من القوميات و من العادات و التقاليد، لأنها أصبحت وسيلة في أيدي البعض مثل السياسيين ليصلوا إلى غاياتهم. و في المقطوع الثاني من قصيدته هذه يسخر من التفاخر بالآباء و الجدود، و يقول

حتى وان لم يكن لشخصٍ آباء و جدود كرماء يستطيع أن يختلق لنفسه و يزوّرهم، وهذه الاشياء قد تحدث في عصر الذرّة و نحن نرجع القهقهري.

تقلّبي تقلُّبَ الدهرِ بِشتّى الغير ... تصرَّفي كما تشائينَ ولا تعتذّري
لِمَنْ ؟! أَ لِلناس؟! وهم حُثالة في سَقرَ ... أم للقوانين وما جاءت بغير الهذر
أم للضمير والضمير صُنْعُ هذا البشر؟! ... لمن ؟! أَ لِلتاريخ؟! وهو في يد المُحَبِّر
مُسخَّر طَوعَ بنان بنان الحاكم المُستَحرِ ... أم للمقاييس اقتضا هنَّ اختلافُ النظر
إنّ أخا طَرْطَر ... من كل المقاييس بَري

❖ ❖ ❖

أي طرطرا تطرطري وهلّلي وكَبّري ... وطَبّلي لكلِّ ما يخزي الفَتَي وزمِّري
وَسبِّحي بحمد مأفونٍ وشكر أبتَر ... أعطي سمات فارغٍ شَمردَل لبُحتر
واغتَصِبي لِضفدع سماتِ ليثٍ قسور ... وشبِّهي الظلامَ- ظلماً - بالصبَّاح المُسفر
وألبسي الغبيَّ والأحمقَ ثوبَ (عبقر) ... إن قيل إنّ مجدهم مزيف فأنكري
وإن هذا المستعيرَ صولةَ الغَضَنفَر ... أهون من ذبابة في مستحمٍّ قَذِر
فهي تطير حُرَّةً جَناحُها لم يعَر ... فغالطي وكابري وحوِّري وزوِّري

❖ ❖ ❖

أي طرطرا لا تُنكري ذنباً ولا تستغفري ... كوني على شاكلة من أمرهم تُؤمَّري
كوني على شاكلة الوزير بادي الخطر ... أُقسم (بالكافور) لا أقصِدُ شتم (العنبر)
لأنتِ فوق البشرِ ... فوق القَضا والقدر

❖ ❖ ❖

أي (طرطرا) بالكِ من قُبَّرة بمَعمَرِ ... (خَلا لك الجوَّ) وقد طاب (فبيضي واصفري)
(و نقّري) من بَعدهِم (ما شئت أن تُنَقِّري) ... قد غَفَل الصيادُ في (لندن) عنك فابشري

(المصدر السابق،ص٢٦٤-٢٦٥)

وفي المقطوع الثالث يسخر إلى هؤلاء الساسة لأنهم لا يبالون بشيء ولا بأحد، فالناس

حثالة لا قيمة لهم فيجب أن يضحّي بهم والقوانين أيضاً لا قيمة لها لأنها كلام هذر وثرثرة ويستمرّ بسخريته من الضمائر البشرية ومن التاريخ ومن كل المقاييس التي وضعت في المجتمع.

وتواصل القصيدة طرح المتناقضات في هذا المجتمع الذي يلبس حكامه ومأجوروهم كلّ شيء عكس ما تقتضيه طبيعته تزويراً للواقع، وإخفاء للمثالب والعيوب، وإمعاناً في استفزاز الناس، والحط من أفهامهم ووعيهم بحقائق الامور. إنّ ((طرطرا)) وهي الفئة الحاكمة تهلل وتكبّر وتدقّ الطبول لكل اشكال المخازي التي يتصف بها رجالها... (زاهدي،١٩٩م،ص٣٧٥).

والشاعر في النهاية يقول ساخراً بأنه لا يقصد شَتْم أحدٍ أو أهانته بل يريد أن يبين أن في مجتمعنا قد يزوّر كلَّ شيء فيتسم بالكافور الذي يحنّط به الميت أنه لا يقصد أن يقلّلَ من مكانة العنبر أو كل شيءٍ طيب الرائحة، و لكن قد خلا الجوُّ للانتهازيين ليستقلوا الظروف ويفعلوا ما يشاؤون.

القصيدة التالية (أطبق دجي):

تقع هذه القصيدة في ست وخمسين بيتاً، وهي من بدايتها حتى نهايتها ((جلداً عنيفاً)) للذات العرقية وللقوي الوطنية، بهدف استنهاضها للعمل على خلاص العراق من ربقة الطغيان، والتحكم، والاحكام العرفية، والوضع الاقتصادي المزري. يقول الجواهري:

أطبق دجي آطبق ضباب ... أطبق جَهاماً ياسحاباُ
أطبق دَمارُ على حُماةِ ... دمارِهم، أطبق تَباب
أطبق جَزاءُ على بُناةِ ... قُبورِهم أطبق عِقاب
أطبق على المُعزي يراد بها ... على الجوع احتلابُ
أطبق على متفرقين ... يزيدُ فرقتهم مُصاب
أطبق على متبلّدين ... شكا خمولهم الذبابُ
لم يعرفوا لون السّماء ... لفرط ما انحنتِ الرّقاب
ولفرطِ ما دِيسَ ... رؤوسهم كما دِيسَ الترابُ

(بيضون،١٩٩٣م،ص٧٣)

وبعد هذه القصيدة نشر الجواهري إحدى أروع قصائده الساخرة التي تجاوزت المائة بيتاً من الشعر وهي (تنويمة الجياع) ١٩٥١م ومطلعها:

نـــامي جيـــاعَ الشـــعب نـــامي حـــرستكِ آلهـــة الطعـــام

وفي هذه القصيدة ركز الجواهري على الازمّة الاقتصادية الطاحنة والحالة المزرية التي يعيشها الفقراء في المأكل والملبس والمسكن ساخراً ممن حالة السكون، وداعياً من خلال اسلوبه الساخر الجموع الجائعة والمضطهدة، التي تفرش الحصي وتلتحف بالساحب لكي تقلع عن حلة الاسترخاء التي تغريهم بها الفئات الحاكمة. (زاهدي،١٩٩٩م،ص٣٨٨)

نـــامي فـــإن لم تشـــبَعي مـــن يقْظَـــةٍ فمـــن المـــنام
نـــامي علـــى زُبْـــدِ الوعـــود يـــدافُ في عســـل الكـــلام
نـــامي تَـــزُركِ عـــرائـــسُ الأحـــلام في جُنـــح الظـــلام
تتنـــوّري قـــرصَ الرغيـــفِ كـــدورةَ البـــدر التمـــام
وتَـــرّى زرائبـــكِ الفســـاحَ مبلَّطـــاتٍ بالرُّخـــام
نـــامي ولا تتجادلـــي القـــولَ مـــا قـــالت (خُـــذام)
نـــامي علـــى المجـــد القـــديم وفـــوق كُـــوم مـــن عظـــام
نـــامي جيـــاعَ الشعـــب نـــامي النـــوم مـــن نعـــمِ السـلام
تتـــوحَّدُ الأحـــزاب فيـــه ويـتَّقـــي خطـــرُ الصِـــدام
إنّ الحماقـــة أن تـشـــقّى بـــالنهوض عصـــا الوئـــام
نـــامي جيـــاع الشعـــب نـــامي لا تقطعـــي رزقَ الأنـــام
لا تقطعـــي رزق المتـــاجر والمهنـــدس و المـــحامي!
نـــامي ثُريحـــي الحـــاكمينَ مـــن اشـــتباكٍ والتحـــام
نـــامي فجُـــدران السجـــون تعِـــجّ بـــالموت الـــزؤام
ولأنـــت أحـــوجُ بعـــدَ أتعـــاب الـــرُضوخ إلى حَمـــام
نـــامي يـــرَحْ بمنامـــكِ الـــزعماء مـــن داء عقـــام

نـــامي فحُقّـــكِ لـــن يضيـــعَ ولســـتِ غُفْـــلاً ! كالســـوام
إن (الرُعـــاةُ) الساهـــرين سيمنعـــونك أن تضـــامي

❖ ❖ ❖

نـــامي جيـــاعَ الشـــعب نـــامي النـــوم أرعـــى للذمـــام
والنـــوم أدعـــي للـــنزول علـــى الســـكينة والنظـــام
نـــامي فمـــا كـــان القصيـــ ـــدُ ســـوي خُرَيـــزٍ في نظـــام
نـــامي؛ اليـــك تحيـــتي وعليـــك نـــائمةً، ســـلامي
نـــامي جيـــاع الشـــعب نـــامي حـرستـــك آلهـــة الطعـــام

(الجبوري، بلا تاريخ،ص٥٣)

هذه أبيات من قصيدة (نامي جياعي الشعب) و هي من قصائد (الجواهري) السوائر الجياد لما احتجنت من قوة سخرية و معاني جميلة و تبكيت للحاكمين الذين لا يلقون بالاً (للدهماء).

والجواهري في قصيدته استطاع أن يعطي تكرار اللفظة بُعداً فنياً عميقاً، و نجح في تكراره لفعل الأمر ((نامي)) و قد كرر الجواهري ((نامي))ستّاً و خميسن مرة مما جعلها أشبه بنغمة الحداء، و نقطة ارتكاز في الايقاع، هيأت جوّاً درامياً من النغم الموسيقي، و مجالاً لمباشرة الذي يأتي بعدها، و تلوينه و حَمَلَ هذا التكرار طابعاً ساخراً، تضمّن معنى مقلوباً بقرينة القصد والدلالة. إذ ليس من المقبول أن يقصد الشاعر بـ((نامي)) دعوة الآخرين للنوم الحقيقي ...(الديوان،ج٤،ص٧٣-٨٠)((و هذا الاصرار و الالحاح على التكرار قلب المعني المعجمي للفظة، فلم تعد تعني النوم الفعلي، أو دعوة الناس للنوم و الراحة، بل أصبحت تعني التحريض و الإثارْ، و صار لها مدلول جديد هو التنبه و اليقظة، و ترك الغفلة و الرقود، بل أصحبت تعني الثورة و الوثبة. كل ذلك من خلال تكراره للفظ بشكل ساخر، في هدوء، و حتى إذا كان الغرض من هذا التكرار ان يشعر الآخرين أنهم فعلاً في موقع النوم ...)) (الكبيسي، بلا تاريخ،ص١٥٧-١٥٨) و هكذا يستخدم الجواهري السخرية في أشعاره ليستفزّ الشعب و يفتح عيونهم، و يلفت انتساههم إلى الحاقة التي وصلوا إليها.

أمّا عام١٩٥٢م فقد أنشد الجواهري متنبي العصر قصيدة ساخرة متميزة كان عنوانها ((ما تشاؤون)) ومطلعها:

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا فرصـــــــــةٌ لا تضـيـــــــــعُ

يشار إلى أنّ هذه القصيدة قد نشرت في وقت لا يفصلها سوي ايام عن أحداث انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢م التي بدأها طلبة الكليات والمعاهد العليا لتتطور إلى حركة شعبية عارمة عجزت السلطة عن قمعها فأنزلت الجيش إلى الشوارع، واعتقلت العديد من المواطنين ومن بينهم الشاعر الكبير الجواهري وأيضاً ولداها فرات وفلاح. يذكر الاستاذ الدكتور زاهد محمد زهدي انَّ هذه القصيدة كانت بياناً ساخراً يشهر الشاعر الكبير بوجه الحكام، بعد أن أشهر بيانه الأول (تنويمة الجياع) بوجه المحكومين.

إنّه يسخر من الحاكمين ليفعلوا ما يشتهون لأنَّ الحكم بأيديهم، لا معارضة فعّالة يحسبون لها الحساب، ولا ضمير يهزّ الحاكمين فيدفعهم إلى الرحمة والعدل، وميزانية الدولة بين ايديهم يقطعون بها ألسنة السوء. (المصدر السابق، ص١٨٠)

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا فرصـــــــــةٌ لا تضَّـيـــــــــعُ

فرصـــــــــةٌ أن تَحَكمـــــــوا وتَخُطُّـــــــوا، وترفعـــــــوا

وتُدِلـــــُّوا علـــــى الرّقـــــابِ وتُعطلـــــــوا وتمنعـــــــوا

❖ ❖ ❖

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا لكـــــــم الارضُ أجمـــــــعُ

لكـــــمُ النـــــاس أكتـــــعُ مِـــــن ذويهـــــم وأبصـــــعُ

خَـــــوَلٌ عنـــــدكم، خُـــــذوا مَـــــن تشـــــاؤونَ أو دَعـــــوا

قـــــد خُلقتـــــم لتحصـــــدوا وعبيـــــــداً لِيـــــــزرعوا

لكـــــم (الّرافـــــدان) و (الـــــزّاب) ضـــــــــرعٌ فأضـــــــــرعوا

تُخصـــــب الارضُ تحـــــتكم - مـــــا أمـــــرتم - وتَرتـــــعُ

ليـــــت أنّ الجمـــــوع فـــــيهنّ شـــــــــاءٌ وترتـــــــــعُ

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا الجمـــــــاهير هطّـــــــعُ

مـــــا الـــــذي يســـــتطيعهُ مستضـــــامون جُـــــوّعُ!

(زاهدي،١٩٩٩،ص٣٩٠)

❖ ❖ ❖

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا كـــــلُّ عـــــاصٍ يطـــــوّعُ

فشـــــبابٌ يخـــــيفُكم للمطـــــاميرِ يـــــدفَعُ

وضـــــميرٌ يهُـــــزُّكم بـــــ(الكراسي) يزعـــــزعُ

ولســـــانٌ ينوشُـــــكم بـالدنـانيـــــر يُقـــــطعُ

مـــــا تشـــــاؤون فأصـــــنعوا جوّعـــــوهم لتشـــــبعوا

❖ ❖ ❖

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا لكـــــم النّـــــاس مصـــــنعُ

لكـــــم الحكـــــمُ ملعـــــبُ في نهـــــارٍ... ومَخـــــدعُ

لكـــــم الامـــــرُ مســـــبحُ باللُبـــــاناتِ متـــــرعُ

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا وأجيـــــدوا وأبـــــدعوا

انظمـــــوا (المـــــالَ) كالقصـــــيدِ بحـــــوراً وقطّعـــــوا

لكـــــم (عِقـــــدُه) الفريـــــد وللشـــــعبِ.. مَصـــــرعُ

❖ ❖ ❖

مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا تُســـــتعزّوا وتُمنعـــــوا

ضـــــيقوا مـــــا اســـــتطعتم مـــــن خنـــــاقٍ و وسّـــــعوا

القـــــوانين شِـــــرعةٌ بـــــحرابٍ تُشَـــــرّعُ

والاراجيـــــفُ شـــــرطةٍ و(التقـــــاريرُ) مِـــــدفعُ

والســـــجونُ المزمجـــــراتُ قِطـــــارٌ مُـــــدرّعُ

والتآويـــــلُ في القضـــــاءِ بـــــلاءٌ مُبرقَـــــعُ

❖ ❖ ❖

كـــــاذبٌ مَـــــن يخـــــيفُكم ... بعِظـــــــاتٍ ويصـــــــدعُ
ويـــــــريكم مَصـــــــارعاً ... لِطغـــــــاةٍ (تَصـــــــرَّعُوا)
حسِـــــبوا الليـــــلَ مركبـــــاً ... فـــــإذا الفجـــــرُ يطلـــــعُ
وإذا الـــــــدربُ مُوصـــــــدٌ ... وإذا الـــــــرّيحُ زَعـــــــزعُ
واذا كـــــــلُّ روضـــــــةٍ ... أزهـــــرت أمـــــسِ بلقـــــعُ
كـــــاذبٌ ! كـــــلُّ همّـــــهِ ... أن تَاخـــــافوا وتفزعـــــوا
لكـــــم (الجـــــنُ) ثُهـــــرعُ ... مثلَمـــــا (الانـــــسُ) تخضـــــعُ

❖ ❖ ❖

أنـــتم (الشّـــمسُ) في السّـــماء، ... وأزكـــــــى وأرفـــــــعُ
و(عُقـــابٌ) علـــى الجـــواءِ ... منيـــــــعٌ. وأمنـــــــعُ
أنـــتمُ (المـــوتُ) هـــل يحـــينُ ... مـــــن المـــــوتِ مَصـــــرعُ؟
أنـــتم (الخُلـــدُ) هـــل يغـــيضُ ... مـــــن الخُلـــــدِ مَنبـــــعُ ؟
أنتم(السُـــــلُّ) يختفـــــي ... في صـــــدورٍ.. ويرجـــــعُ
أنـــــتم(اللهُ) واحـــــداً ... وهـــــو لا شـــــكَ.. أربـــــعُ
فرصـــــةٌ لا تُضَـــــيعُ ... مـــــا تشـــــاؤون فاصـــــنعوا

(الديوان، ج٤، ص٣٨١-٣٨٢)

كما نلاحظ في القصيدة المذكورة انّ الشاعر الكبير الجواهري كان يقول كلّ هذا الشعر الساخر اللاذع التهكمي ويوجّهه إلى الحكام حتى اكبرهم منزلةً ومقاماً، دون أي خوف أو رهبة، يهزأ بطغيانهم المزيف ويشبههم من باب (العكس)بالشمس والسماء والعُقاب والموت الذي لا يصرع، وكان الكثير من أبياته يتحول إلى شعارات في الشوارع تهزُّ الجماهير الغاضبة، ومع ذلك فإنّ الجواهري لا يعتقل إلا لبضعة أيامٍ، وكان يصدر الحكم بسجنه لشهرٍ أو شهرين إلّا ويكون الحكم مقترناً بوقف التنفيذ!!!

وفي قصيدة عنوانها (شدة لندن)تناول الجواهري باسلوب ساخر الوضع الذي كان عليه العراق بعد إنهيار الآمال العريضة بالحرية والاستقلال الناجز، ثم بأيام ما سُمّي بالحكم

الوطني بتحقيق المصالح الاجنبية التي ثار عليها الشعب، وأيضاً بروز فئة من المثقفين النفعيين تُبارك الحكم الجديد بهدف مصالحها الخاصة.

اخليليّ والبلاءُ كثيرٌ في ... بلادي، لا، وكهذي البلية
أَ زمنَ الدّاءِ في العراق ولن ... يشفيه إلا الجرّاح والعمليّة
أَ فتيٌّ عراقنا؟ فلماذا ... خدعوه؟ وذاك شأن الفتيه
سَحَرتنا ظواهر الأمر حتى ... أوهمتنا أن البلاد قويه
نتغنّى وعصرُنا من نُحاس ... بأغاني عصورنا الذهبيه
نخر الجهلُ أُمّتي نخرة السوس ... فأينَ المجامعُ العلميه
كلنا في الجمود والجهل ... وحشيون لكن حقوقنا مدنيه
كلُّنا في النفاق والختلِ نبدي ... كلّ يوم مهارة فنيّه
وطني كلُّ من عليه وزيرٌ ... واضعٌ نُصبَ عينه كرسيه
قد لففنا كلّ المساوي فينا ... برداءٍ من نهضة وطنيه
ما شقينا إلا لأنّا حسِبنا ... أن في الكذب جرأة أدبيه
كثُر المدَّعون، لما اختلفنا ... في البديهي، فكرة فلسفيه
لو يقول الاديب في الشر (إن الأرض ... تحتي) لسُميت نظريه
كلنا بما تمنّي سعيدٌ ... لا نُبالي أن البلاد شقيه
أَ سمعتم ما قيل عن (برلماني) ... وعرفتم مهارة حزبيه ؟
لست ادري لكن يقول خبير: ... في البضاعات...شدة (لندنيه)

(المصدر السابق،ص١٢٩-١٣٠)

يشير الدكتور زاهد محمد زهدي في كتابه الجواهري صناجة الشعر العربي في القرن العشرين: (كان الجواهري يلجأ للسخرية كلما أُسقط في يديه وشاهد مطامحه تنهار، وتكشفت آماله عن خداع وتمنيات لم تجد طريقها إلى واقع الحياة. كان شأنه في القضية الوطنية الكبرى التي شهد بعض أحداثها، وتعرف على بعض رجالها، وكتب عن معاركها الضارية ضد الانجليز في النجف إلا ستاراً للحكم الاجنبي، والذي صار عثرة في سبيل

الاستقلال الناجز..

مشت كلُّ جارات العراق طموحةً ... سراعاً، وقامت دونه العباتُ

ومن عجبٍ أن الذين تكفّلوا ... بإنقاذِ أهليه هم العثرات)

(الديوان،ج٤،ص٣٨١-٣٨٢)

الاستنتاج:

اردت في ختام هذه المقالة الوجيزة أن اشير إلى أنّ مزاج الجواهري المتقّلب وروحه المتمردة والبيئة السياسية والاجتماعية المتحولة والمتغيرة التي عاشها الجواهري أثّرت كلّ التأثير في تجاربه الشعرية، وأيضاً تعدُّد الديانات والمذاهب والقوميات الموجودة في العراق، كلّ هذه الاحداث كانت متداخلة في شعره، في نفسيته، في إختياره لكلماته وافكاره، لأنّه كان الصورة الحية لما يحدث في بلاده، فلم يستطع السكوت والكتم على انفاسه بل نطق نطقة جواهرية أراد بها أن ينهض الشعب على الوضع المزدري السائد في العراق، فنطق مرَةً بصورة مباشرة واخري غير مباشرة، إنه عبري زمانه وكان صوتاً لذاته ووطنه وأمته، سما وتدفق ليصبح صوتاً للشعر العربي في القرن العشرين دون منازع. إن ديوان الجواهري ملئٌ بتلك القصائد الساخرة والتهكمية واذا سنحت الفرصة لباحث دراستها فانه دون شك سيخرج بنتيجة لافتة للنظر لانّ الكثير من شعره يحتوي على نوع من السخرية، وقد تصل سخريته إلى حد النكتة والافراط في الهجاء. ونحن في هذه المقالة لم نأتِ الا بالقليل من شعره الساخر.

قائمة المصادر والمراجع

١. أدونيس (على أحمد سعيد)،مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط ٤،١٩٨٣م.

٢. أنوشة، حسن، فرهنگ نامه أدبي فارسي، سازمان چاپ و انتشار وزارت فرهنگ، تهران،ط٢، ١٣٨١ش.

٣. الأيوبي، ياسين في محراب الكلمة، المكتبة العمرية، بيروت، ١٩٩٩م.

٤. البعلبكي، منير، المورد(قاموس انكليزي، عربي)،دار العلم للملايين، بيروت، ط١٩٨٩،٣م.

٥. بيضون، حيدر توفيق، محمد مهدي الجواهري شاعر العراق الاكبر، دار الكتب العربية، بيروت ط١، ١٩٩٣م.

٦. الجبوري، عبدالله، الجواهري و نقد جوهرته، عالم الكتب، بيروت، بلاتا.

٧. الجواهري، محمد مهدي، الديوان، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٤م.

٨. ـ،الجواهري في العيون من اشعاره، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،ط٤، ١٩٩٨م.

٩. ـ،ذكرياتي، دار الرافدين، دمشق، ط١،١٩٩١م.

١٠. شعبان، عبدالحسين، الجواهري جدل الشعر والحياة، دار الاداب،بيروت،ط٢.٢٠٠٩م.

١١. زهدي، زاهد محمد، الجواهري صناجة الشعر العربي في القرن العشرين، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٢. الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي(الادب الحديث) دار الجيل، بيروت،ط٢، ١٩٩٥.

١٣. العطية، جليل الجواهري شاعرٌ من القرن العشرين، منشورات الجمل، المانيا، ط ١،١٩٩٨م.

١٤. العلايلي، عبدالله وآخرون، المنجد في الاعلام، المطبعة الكاثولكية، بيروت، ١٩٩٥.

١٥. الكبيسي، عمران، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات، الكويت، بلا تاريخ.

١٦. المعري، أبو العلاء، شرح دوان المتنبي، دار مكتبة الحياة، ١٤٠٧هـ.

١٧. المندلاوي، صباح، في رحاب الجواهري، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط ١،٢٠٠٠م.

١٨. وهبة، مجدي و كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

١٩. يعقوب، اميل، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.